الفصل الخامس

حركة الكون

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

حركة الكون

مقدمة :

يتحرك الكون بما فيه في حركة مستمرة مقننة منذ بدء نشوئه إلى اليوم وإلى قيام الساعة . ويقف الإنسان ـ بما أتيح له من استخدام لوسائل التقنيات المطورة ـ أمام هذه الحركة مبهورًا وعاجزًا عن معرفة القوانين المنظمة لها . وإن دلت هذه الحركة الكونية المحكمة المقدرة على شيء فإنما تدل على أنها ليست وليدة الصدفة كما يظن الملحدون ، كما أنها ليست حركة عشوائية أو ذاتية تلقائية ، بل هي حركة قضى الله تبارك وتعالى لها أن تكون ولا تخضع إلا للقانون الإلهي الأعظم المطلق للكون الذي سخر الله عناصره لمنفعة الإنسان . وكل ما في الكون من مجرات وسدم وكوكبات ونجوم وكواكب وأقمار في فلك يَسْبَحُونَ . وإن كل ما يتمثل على سطح الأرض ، بل وما يقع في جوفها هو في حركة مستمرة مقننة كذلك ، ويدور ويتحرك مع دوران الأرض نفسها ؛ يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ **لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدركَ القَمَرَ ولا الليلُ سابقُ النهار وكلٌّ في فلكٍ يسبحون** ﴾ يس (٤٠) .

﴿ **وهو الذي خلق الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ كُلٌّ في فلكٍ يسبحون** ﴾ الأنبياء (٣٣) .

وتبين الآيات القرآنية الكونية أن حركة كل عنصر من عناصر الكون تجري وتَسْبَحَ في مدار أو **فلك** خاص بها ، ولها مواقعها المحددة لها في السماء ، لتكون عظة وعبرة للناس أجمعين ، ودلالة من دلائل قدرة الله عز وجل في الخلق .

وأقسم الحق جل وعلا في آيات متعددة في القرآن الكريم بالكواكب السيارة التي تجري وتسبح في الفضاء على سنن مقدرة، ووفق نظام معين لا تتعداه سابحة من برج إلى آخر كما قضى الله سبحانه لها أن تكون. وجاء هذا القسم الإلهي كثيرًا في مطلع بعض الآيات الكونية في القرآن، وهو إشارات وومضات من نور تحث الإنسان على أن يتمعن ويتأمل في معانيها ويستطلع ويستبصر لما في الكون من دلائل القدرة وأن يستدل على وحدانية الخالق فاطر السماوات والأرض، وعلى ربوبيته وحده، وأن يزداد الإنسان يقينا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي خلق كل شيء، وقدر كل شيء بقدر. ويقصد بسباحة الأجرام السماوية، حركتها السريعة جدًّا والسهلة في الفضاء في الوقت نفسه، والذي يكاد لا يشعر الإنسان بها.

وقد تبين للعلماء أن سباحة الأجرام السماوية ليست في فضاء خاوٍ، بل هي تسبح في بحار من غازات كونية تتعلق فيها ذرات متعددة من الغبار الكوني، ومن مفتتات بقايا النجوم المندثرة. وجاء قسم الله عز وجل ببعض عناصر الكون في مطلع السور الكونية الكريمة الآتية :

﴿والشمسِ وضحاها * والقَمرِ إذا تلاها﴾ الشمس (١ ـ ٢).

﴿والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى﴾ الليل (١ ـ ٢).

﴿ والضُّحى* والليل إذا سجىٰ ﴾ الضحى (١ ـ ٢).

﴿والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر﴾ الفجر (١ ـ ٣).

﴿والسماءِ والطارق* وما أدراك ما الطارقُ * النجمُ الثاقب﴾ الطارق (١ ـ ٣).

﴿والسماءِ ذاتِ البُروج * واليوم الموعُود﴾ البروج (١ ـ ٢).

فدلائل قدرة الله عز وجل في خلق الكون وعناصره واضحة جلية للإنسان في كل عصر وزمان. ومع تقدم الإنسان علميًّا وتكنولوجيًّا وحضاريًّا يتسع محيط رؤيته وآفاقه، ويرى براهين جديدة وآيات متعددة من آيات الله عز وجل متمثلة أمام بصره في كل أرجاء الكون، بل ومتمثلة في كيان الإنسان نفسه. وعند بداية ظهور الحضارات البشرية كانت معرفة الإنسان عن أبعاد الكون محدودة للغاية، ولكن مع التقدم العلمي المذهل، والنقلة النوعية التكنولوجية التي توصل إليها الإنسان في القرن العشرين، تحقق للبشرية الوصول إلى معرفة بعض القوانين التي تحكم المسافات والكثافات والزمن وحركة الأجسام وقوة جاذبيتها وكتلتها وطرق انقسامها وتفتيت ذراتها، ومع ذلك فإن معرفة ما يراه الإنسان من مجرات وكوكبات ونجوم في الفضاء السماوي الفسيح لا تزال معرفة محدودة الأبعاد. أما عن معرفته بما يتمثل في السماوات الأخرى العُلى فهي معدومة. وإذا حاول الإنسان أن يشحذ ذهنه ويحاور عقله ويستعين بكل ما تيسر له من وسائل علمية ليتعرف على كيفية نشأته هو بنفسه، وبدء ظهوره على سطح الأرض، سرعان ما يفشل في ذلك علميًّا. ولا يستطيع الإنسان أن يقترح في هذا الشأن سوى نظريات ظنية ضعيفة القواعد والأركان ولا تدعمها أدلة يقينية. ولا يجد الإنسان بعد كل هذه المحاولات العلمية خيرًا وملجأ أمينا سوى اللجوء إلى كلام الله الحق جل وعلا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تخضع آيات الله سبحانه وتعالى في الكون أو حركتها ونظمها ونشأتها لقوانين من صنع البشر أو لعلم وضعي، بل هي منظمة في حركة مقننة بحكمة وتدبير وقضاء من الله تبارك وتعالى العلي القدير، الذي له ملكوت السماوات والأرض، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون؛ يقول الحق جل وعلا:

﴿سَنُـريهم آياتِنـا في الآفـاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحقُّ أَوَلَـمْ يَكْفِ بربك أنه على كُـلِّ شـيءٍ شهيـدٌ * ألا إنهم في مِرية من لقـاء ربِهِـم ألا إنه بكلِّ شـيءٍ مُّحيط﴾ فصلت (٥٣ ـ ٥٤).

وتُظهـر هـذه الآيـة الكـريمـة أن من وعـد الله عـز وجل لبني الإنسـان أنـه سيطلعهم جيـلا بعد جيل على بعض مـلامح من أسرار هذا الكـون العجيب، وعلى بعض الخفايا في البشر أنفسهم حين تبين أن هذا الكتاب الكريم هو الحق أنـزلـه الله سبحـانـه وتعـالى هـدى ورحمة للعـالمين. وحـرف «السين» في الفعل «سنريهم» يدل على استمـرار كشف الله عز وجل لبعض من آياتـه في الآفاق منذ نزول القرآن و إلى يوم الدين. وتوضح الآية الكريمة أن عطاء القرآن عطاء متجدد ومستمر، ولم تنته معجزتـه أيام نزوله منذ نحو أربعـة عشر قرنًا، بل إن الناس في كل زمان ومكان تستقبل وتتلقى ـ بتدبير مـن الله عز وجل ـ بعض أسرار وخفايا هـذا الكون، وتتعـرف بعض الأمور المبهـرة في أنفسهم. وإذا كان الإنسـان في القرن العشرين قد اكتشف بعض النواميس التي تـربط كوكب الأرض ببقية هذا الكون الفسيح وما يتمثل فيه من بلايين النجوم والكواكب، فقد بدأ العلم يزيل الحجـاب كذلك عن بعض أسرار الجسم البشري وعجـائب تـركيبه وخصـائص أعضائه ووظائفها. ولا يزال الإنسان بعـد كل هذا يجهل الكثير عن خبايا الكون والكثير أيضا عـن خبايا النفس البشريـة والجسم البشري، ووعد الله جـل وعلا للإنسان يظل قائمًا إلى يوم الدين.

«لله ملك السماواتِ والأرضِ وما فيهن»:

ميز الله سبحـانه وتعالى الإنسـان من سائر المخلوقـات بما وهب له من عقل مفكـر ليتدبـر في الكون وليتأمل عنـاصره المختلفة المسخـرة لينتفع بها في حياتـه

ومعيشته على الأرض، وليستدل على دلائل القدرة الإلهية. وإذا كانت سائر المخلوقات مسخرة بأمر الله جل وعلا لمنفعة الإنسان، فإن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان الاختيار فيما يراه نافعًا له، وفيما يقع عليه اختياره. وتحث الآيات القرآنية على استخدام العقل، ليفكر الإنسان ويتأمل في الكون وعناصره، بل وفي ذاته.

وقد احتار الإنسان منذ القدم ولا يزال حائرًا حتى اليوم في معرفة أصل المادة الأولية التي خُلق منها الكون. واختلف الفلاسفة الإغريق أصحاب المدرسة المادية في تحديد أصل هذه المادة. وأحدث النظريات العلمية اليوم ترجح بأن الكون كله كان يتألف في البداية من الغازات الساخنة السديمية Nebulae Gases. ولكن لا يستطيع العلم أن يدرك ماهية هذه المادة الأولية السديمية، وما أصلها ومصدرها. وهكذا يقف العلم الوضعي عاجزًا أمام مثل هذه التساؤلات. فقد توصل العلماء إلى معرفة قوانين الجاذبية والمجالات الكهربائية والذبذبات الصوتية، ولكنهم عجزوا عن تفسير معرفة أسباب حدوث الجاذبية أو معرفة أسباب وجود مجالات كهربائية أو كهرومغناطيسية. ويذكر الأستاذ هويل[1]. أن العلم لم يقدم تفسيرات مقنعة لتكوين الكون وعناصره بالصورة التي نعرفها عنه اليوم، ولا يستطيع العلم أن يتعرف المادة الأولية التي خلق منها الكون. ويؤكد أن كل هذه التساؤلات لا معنى لها ولا طائل منها ولا يمكن الإجابة عليها. وصدق قول الله تبارك وتعالى:

﴿ . . . **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ الإسراء (٨٥).

ويتحدث العلماء عن نتائج القوانين التي يتوصلون إليها بعد إجراء البحوث والتجارب العملية والمعملية، ولكن لا يستطيع أحد منهم أن يفسر الكيفية التي

---

(١) فرد هويل: «مشارف علم الفلك»، ترجمة إسماعيل حقي ـ دار الكرنك القاهرة ـ مجموعة الألف كتاب، عام (١٩٦٣م)، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

هي عليها تلك القوانين الطبيعية. وباستخدام قانون «نيوتن» عن الجاذبية يمكن التنبؤ بالأماكن التي يحدث فيها كسوف الشمس وتحديد وقته، ولكن في الوقت نفسه لا يستطيع العلماء أن يفسروا أسباب حدوث الجاذبية بهذا النمط الذي تحدث به، فهذه المعلومات كلها تقع فيما وراء قدرات العقل البشري.

ويوضح فرد هويل كذلك أن خلق المادة قانون طبيعي وأن كل مادة مخلوقة لها خصائص مميزة تشكلها وتتشكل بها. وخلق المادة عملية مميزة في الكون. وأن كل مادة لها تأثيرات أو مجالات منها المجال النووي الذي يربط أجزاء النواة بعضها بالبعض الآخر، والمجال الكهرومغنطيسي الذي يسهّل للذرات عملية امتصاص الضوء ومجال الجاذبية الذي يعمل على تماسك الأقمار بالكواكب، والكواكب بالنجوم، والنجوم بالمجرات. ويذكر هويل بأن المادة تخلق ذاتيا بتأثير من مادة أخرى، وهذا المجال الأخير هو الذي يسبب تمدد الكون. وفات «هويل» عند اعتباره «أن المادة تخلق ذاتيا» أن المخلوقات جميعا هي من صنع الخالق جل وعلا بمشيئته، وهو القائم عليها، وأن يستمع لقول الله تبارك وتعالى:

﴿والسَمَاءَ بَنَيْناها بأيدٍ وإنا لموسِعُون﴾ الذاريات (٤٧).

﴿إنا كُلَ شيء خلقناه بقدرٍ * وما أَمرنَا إلا واحدة كلمحٍ بالبصر﴾ القمر ٤٩ـ٥٠).

وخلق الله تبارك وتعالى الكون بما فيه عندما قضىٰ له أن يكون بأيد وقوة وبتقدير مقتدر وبالحق. وتذكرنا الآيات القرآنية وتنبهنا في كثير من السور إلى أن لله ملك السماوات والأرض وما فيهن. فالكون كله بما فيه هو ملك لله سبحانه وتعالى وحده الذي سوّاه وخلقه وفطره ولله عز وجل وحده القدرة على أن يعيد خلق الكون من جديد وليس غيره مالكا لشيء فيه. وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما، عالم الغيب والشهادة له الحمد وله الملك وهو على

كل شيء قدير. هـذه التذكرة والإشارة الإلهية للإنسان هـي آيات جاءت في عدة سور في القـرآن منها سور الـزمر والـزخرف والبقرة وآل عمـران والنساء والمائدة؛ يقول الحق جل وعلا :

﴿قُل لِلّهِ الشَّفَـاعةُ جميعًـا لَـهُ مُلْكُ السمـٰـواتِ والأرض ثـم إليـه ترجعـون﴾ الزمر (٤٤).

﴿قُل اللهم فـاطـر السمـٰواتِ والأرضِ عـالم الغيب والشهـادة. . .﴾ الزمر (٤٦).

﴿سبحـان رب السمـٰـواتِ والأرض رب العـرش عمـا يصفـون﴾ الزخـرف (٨٢).

﴿وتبارك الـذي لـه ملك السمـٰـوات والأرض وما بينهما وعنـده علـم السـاعة وإليه ترجعون﴾ الزخرف (٨٥).

﴿سبحان رَبِّـكَ رَبِّ العزة عمـا يصفون﴾ الصافات (١٨٠).

﴿أَلَـم تَعلَم أن اللهَ لَـهُ مُلك السمـٰـواتِ والأرضِ ومـا لكُم من دون اللهِ من ولـيٍّ ولا نصيـرٍ﴾ البقرة (١٠٧).

﴿وقالـوا اتخذ الله ولدًا سُبحـانه بَـل لَّـهُ مـا في السمـٰواتِ والأرضِ كـلٌّ لـهُ قانتون* بديع السمـٰـواتِ والأرضِ وإذا قضى أمرًا فإنما يقول لَـهُ كُن فيكُون﴾ البقرة (١١٦ ـ ١١٧).

﴿ولِلّـهِ ما في السمـٰـوات ومـا في الأرضِ وإلى اللهِ تُرجعُ الأمُـور﴾ آل عمران (١٠٩).

﴿ولِلّـهِ مُلكُ السمـٰـواتِ والأرضِ واللهُ عَلَـى كُل شـيءٍ قدير *إن في خلق السمـٰـواتِ والأرضِ واختـلافِ الليلِ والنهـارِ لآيـاتٍ لأولي الألبـاب * الذين يَذكُرونَ اللهَ قيـامًا وقُعودًا وعلى جُنُوبهم ويتفكـرُون في خلقِ السمـٰـواتِ والأرضِ

رَبّنا ما خلقت هـذا باطلاً سُبحـانكَ فَقِنَـا عـذابَ النـارِ ﴾ آل عمـران (١٨٩ ـ ١٩١).

﴿ ولِلّـهِ مـا في السمـٰـواتِ والأرضِ وكان اللّـهُ بِكُل شـيءٍ محيطًـا﴾ النساء (١٢٦).

﴿ ولِلّهِ ما في السمـٰـواتِ والأرضِ وكَفَى بِاللهِ وكيلا﴾ النساء (١٣٢).

﴿يـا أَيُّها الناسُ قـد جـاءكُم الـرسُول بـالحقِّ من ربكُم فآمنُـوا خيرًا لكم وإن تكفـرُوا فإن لله مـا في السمـٰـواتِ والأرضِ وكـان اللهُ عليمًا حكيمًا ﴾ النساء (١٧٠).

﴿لِلّهِ مُلكُ السمـٰـواتِ والأرضِ وما فيهن وهـو على كُلِّ شـيءٍ قديرٌ ﴾ خاتمة سورة المائدة (١٢٠).

﴿ أَلَـمْ تَعْلَـمْ أن اللهَ لَهُ مُلْكُ السَمَـٰـواتِ والأرضِ يُعذِّبُ من يشاءُ ويغفرُ لمن يشاءُ واللهُ على كل شـيءٍ قديـرٌ ﴾ سورة المائدة (٤٠).

فكل ما في السماوات والأرض هو ملك لله سبحانـه وتعالى، فهو الذي يعطي من يشـاء ويمنع من يشـاء، وعلى الإنسان ألا يقلق عنـدمـا ينتفع ببعض النعم التي وهبها الله لـه أو لـم ينتفع بها، فإن الله هو الذي يملك وهـو الذي يعطي وهو قادر على أن يعطي ما يريد لمن يريد.

والإيمان بالله سبحانه وتعالى هـو تسليم لقدرات الله التي ليست فوقها قدرة، ولعلم الله الذي ليس فوقه علم والله سبحـانه وتعالى ليس كمثله شـيء. ويعتبر بعض النـاس ذلك عبـوديـة وأن الـدين في نظـرهم عبـوديـة. ويقـول الشيخ الشعراوي [1] في ذلك: «نعم إن الديـن عبودية لله سبحـانه وتعـالى، وفرق كبير

(١) الشيخ محمد متـولي الشعراوي: «معجـزة القرآن»، أخبار اليـوم ـ القاهـرة ـ ج٢/ ١٦ ــ ١٧، (بدون تاريخ).

بين العبودية لله والعبودية للبشر. البشر عندما يستعبدك يريد أن يأخذ منك أو من قدراتك ليضمها إلى قدراته، ويجردك من الخير الذي تستطيع أن تحققه ليضمه إلى الخير الذي يملكه، فعبودية البشر هي تجريد للعبد من كل خير يستطيع أن يحققه لصالحه. أما عبودية الله سبحانه وتعالى فهي عبودية لتزيد من قدراتك وتمنحك الخير والبركة وتزيد من عطاء الله لك، فهي عبودية لصالحك، فالله سبحانه وتعالى غني عن العالمين، غني عن جُهدك.. غني عن مالك... والله سبحانه هو صاحب كل شيء وله مُلك السماوات والأرض ومن فيهن».

كل ما في السماوات والأرض يُسَبّحُ ويَسْجُدُ لله العزيز الحكيم:

في مطلع كثير من السور في القرآن (سور الحديد والحشر والصف والتّغابن والجمعة)، تنبه آياتها الكريمة إلى أن كل ما في السماوات والأرض يُسبح ويسجد لله رب العالمين.

يقول تبارك وتعالى:

﴿سَبّحَ لِلّهِ مَا فِي السَمَـٰواتِ والأرضِ وهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾ الحديد (١).

﴿سَبّحَ لِلّهِ مَا فِي السَمَـٰواتِ وما في الأرضِ وهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾ الحشر (١).

﴿سَبّحَ لِلّهِ مَا فِي السَمَـٰواتِ وما في الأرضِ وهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾ الصف (١).

﴿يُسَبّحُ لِلّهِ مَا فِي السَمَـٰواتِ ومَا فِي الأرضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التّغابن (١).

﴿يُسَبّحُ لِلّهِ مَا فِي السَمَـٰواتِ ومَا فِي الأرضِ المَلِكِ القُدُوسِ العزيزِ الحكيمِ﴾ الجمعة (١).

كما جاء ذكر تسبيح الكون وسجود كل عناصره لِلّهِ الخالق عز وجل في آيات متعددة وقعت داخل سور القرآن الكريم. فيقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ولِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ في السَمَـٰواتِ والأرضِ طَوْعًا وكَرْهًا وظِلاَلُـهُم بالغُدُوِّ والآصَالِ﴾ الرعد (١٥).

﴿تُسَبِّحُ لَـهُ السَمَـٰواتُ السَّبْعُ والأرضُ ومَن فِيهِن وإن مِّنْ شَـيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمدِهِ ولَكِن لا تفقَهُونَ تَسبيحَهُم إنه كان حليمًا غفورًا﴾ الإسراء (٤٤).

﴿أَلَـمْ تَرَ أنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن في السَمَـٰواتِ ومَن في الأرضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُجُومُ والجبالُ والشجرُ والـدَوَابُّ وكثيـرٌ مِّنَ النَّـاسِ وكَثيرٌ حَق عليـهِ العذابُ ومن يُهِن اللهُ فَما لَهُ مِن مُّكرِمٍ إن اللهَ يفعلُ مَا يَشَاءُ﴾ الحج (١٨).

﴿ألَـمْ تَـر أنَّ اللهَ يسبِّحُ له مَن في السَمَـٰواتِ والأرضِ والطَّيْـرُ صَـافَّاتٍ كُلٌّ قـد عَلِمَ صَلاَتَهُ وتَسْبِيحَهُ واللهُ عليمٌ بما يَفْعَلُـون﴾ النور (٤١).

﴿ولِلّـهِ يَسْجُـدُ مَـا في السَمَـٰـواتِ والأرضِ مِن دَابـةٍ والملائِكَـةُ وَهُم لا يستكبرون﴾ النحل (٤٩).

﴿الرحمـٰنُ * عَلَّـمَ القُرآنَ * خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ * الشَّمْسُ والقمَرُ بِحُسْبانٍ * والنَّجْمُ والشجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرحمـٰن (١ ـ ٦).

﴿ومَا خَلَقْنَا السَمَـاءَ والأرْضَ ومَا بَيْنَهُمَـا لَاعِبِـينَ﴾ الأنبياء (١٦).

فتوضح هـذه الآيات الكريمـة أن كل ما في الكون يُسَبحُ بحمـد الله ويَسْجُدُ لجلالته، فكل ذرة وحصـاة وحجر وحبة وورقـة شجر وزهرة ونبتة وثمـرة شجرة وحشرة وزاحفـة وحيوان ودابـة على الأرض وسابحـة في الماء وطائرة في الهواء ومـا نعلم من مخلوقات الله وما لا نعلم كلها تُسَبحُ بحمد الله بطريقتها ولغتها. ولكن الإنسان ذا العِلم المحـدود لا يفقه هذا التسبيح؛ لأنه محجـوب بصفاقة الطين،

ولا يعلم كل أسرار الوجـود الخفية، ولا يدرك كل النواميس التي تنجـذب إليها كل ذرة في هذا الكون الكبير [1].

كلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُـونَ:

من بين خصـائص الكـون أن كل عنصر مـن عنـاصره وأن كل جـزيء من جزيئات هذه العناصر ـ حتى ولو كـان وزنه مثقال ذرة ـ هو في حركة مستمرة لا تتـوقف أبدًا إلا بأمـر الله عز وجل فـاطر السمـٰوات والأرض وما بينهما والقـائم عليها. ولا تخضع هذه الحركة للصدفة أو لأسباب عمليات النشوء الذاتي للمادة كما يلوح الملحدون، وإنما هي حركة مقننة ومقـدرة تقديرًا إلهيًّا حكيمًا، وهي أمر خارق لقوانين العلم الوضعي، الذي وضعـه الإنسان، وتعرف عليه واكتشفه في محيطه الأرضي. فكـل من الكواكب ومجمـوعات النجـوم والكوكبـات والمجرات تدور حـول نفسها في حركـة محورية وتدور في مـداراتها في حركة انتقـالية. بل إن الكون كلـه يتحرك حـركة انتقاليـة حول مـركز سحيق يبعـد عن خيال البشر ولا يـدري العلم الـوضعي عنه القليل أو الكثير، ولا يقع إلا في علـمِ الله وحده عـز وجل.

وإذا كـان الإنسـان قـد استطاع أن يكتشف بعـض قوانين حـركـة الأجسـام وديناميكيتهـا في المحيط الأرضي، فإنـه يعجز عن معـرفة كثير من خبـايا حـركة السدم، والكـوكبات، والمجرات، والنجـوم، والمذنبات، ولا يـزال يتخبط عند محاولته تحديـد أسبابها ومسبباتها ونظم حركتهـا وسرعتها. وحتى الظـواهر التي يشاهدها الإنسان على سطح الأرض ويحسب أنها جامدة ثابتة لا تتحرك كالجبال

---

(١) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، الجزء الرابع، ص ٢٢٣٦.

والهضاب والبحار، هي في الحقيقة في حركة دائمة مع تحرك كوكب الأرض نفسه في حركتيه المحورية والانتقالية وحركاته الأخرى. (راجع الفصل السابع).

وهذه الحركة المستمرة المنتظمة التي لا تعرف الكلل أو الملل أو الخلل لكل عنصر من عناصر هذا الكون الفسيح الأرجاء، هي تسبيح وسجود لله العلي القدير فاطر السمٰوات والأرض وما بينهما، ولكن الإنسان بما أوتي من علم محدود لا يفقه مثل هذا التسبيح. كما أن في حركة كل عنصر من عناصر الكون إفادة ونعمة وبركة ومنفعة للإنسان ساكن سطح كوكب الأرض؛ وذلك لأن كل عناصر الكون مسخرة بأمر الله جل وعلا لخدمة الإنسان ولتيسير سبل حياته على سطح الأرض. ويقول المولى عز وجل:

﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يَسْبَحُون** ﴾ يس (٤٠).

﴿ **وهو الذي خلق الليل والنهارَ والشمس والقمر كُلٌّ في فلك يَسبحون** ﴾ الأنبياء (٣٣).

وينتج عن الحركة المحورية للنجوم والكواكب قوة طرد مركزية تحفظ للنجم أو للكوكب موقعه في مداره على بعد ثابت بينه وبين النجم الأم. وتتمثل العوامل التي تؤثر في استمرار حدوث ربط النجوم والكواكب بعضها بالبعض الآخر في الآتي:

١ ـ كتلة الشمس الأم.

٢ ـ الدوران المحوري للشمس.

٣ ـ قوة الجذب الشمسي.

٤ ـ كتلة كل كوكب تابع للشمس .

٥ ـ استمرار الدوران المحوري لكل كوكب في سرعة ثابتة له .

٦ ـ قوة الطرد المركزية لكل كوكب .

٧ ـ المسافة الفاصلة بين الشمس وكل كوكب .

وعلى الرغم من تعدد هذه العوامل وطول الفترة الزمنية لعملها منذ بداية نشوئها حتى اليوم، والتي تقدر ببلايين السنين، إلا أن الشموس والنجوم والكواكب ظلت تعمل بقدر، ولم يصبها خلل أو زلل؛ ذلك لأنها تعمل وهي مسخرة بأمر الله عز وجل، ولا تخضع للصدفة أو العشوائية. وإن حدوث أي نوع من الاضطراب في أي عامل من العوامل السابقة الذكر يؤدي إلى تفكك قوى الربط بين الشمس الأم وكواكبها، وينجم عن ذلك انفجارها وانشطارها وانشقاقها، وهذا لا يحدث لها إلا إذا قضى الله سبحانه وتعالى فاطرها وخالقها بأن يكون. ويكون ذلك عند قيام الساعة؛ يقول تبارك وتعالى :

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وأخرجتِ الأَرْضُ أثقالَهَا * وقَالَ الإنسانُ مَا لَهَا * يومئذ تُحدِّثُ أخبارهَا * بأن رَبَّك أوحَىٰ لَهَا﴾ سورة الزلزلة (١ ـ ٥).

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقت * وأَذِنَتْ لِربِّها وحُقت * وإِذَا الأَرْضُ مُدَّت * وأَلقَت ما فيها وتَخلَّت﴾ سورة الانشقاق (١ ـ ٤).

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرت * وإِذَا الكواكِبُ انتَثَرت * وإِذَا البِحَارُ فُجِّرت﴾ سورة الانفطار (١ ـ ٣).

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وإِذَ النُّجُومُ انكدرَت﴾ سورة التكوير (١ ـ ٢).

﴿فإذا النُّجوم طُمِسَت * وإذا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وإذا الجِبَالُ نُسِفَت﴾ سورة المرسلات (٨ ـ ١٠).

﴿فإذا بَرِقَ البَصَرُ * وخَسَفَ القَمَرُ * وجُمِعَ الشَّمسُ والقَمَرُ * يقول الإنسانُ يومئذٍ أينَ المَفَرُّ * كَلاَّ لا وَزَرَ * إلى رَبِّكَ يومئذ المُستَقَرُّ﴾ سورة القيامة (٧ـ ١٢).

فيوم القيامة هو اليوم الذي يفقد فيه الكون توزانه وتنشطر الكواكب والنجوم والأقمار بأمر من الله عز وجل، وتتأثر الأرض بزلزالها الأعظم الموعود، ويخرج من باطنها موادها المعدنية الثقيلة، فتفقد توازنها وقوة جاذبيتها وموقعها في الفضاء.

وتنفلق السماء وتنفطر وتنشق وتطوى صفحاتها وتدرج في بعضها البعض كطي صفحات الكتاب، وتلف السماء وترفع وتزال وتطمس النجوم ويذهب ضوؤها وينشق القمر يوم الساعة، ويكون لله تبارك وتعالى يومئذ المستقر.

ونتيجة للحركة المحورية للشمس تتركز الغازات التي تتفاعل نوويًا في جوفها وينشأ عنها قوة جذب عظمى (تبعا لكتلتها الهائلة الحجم والتي تقدر بنحو ٣٣٣ ألف مِثل لكتلة الأرض) تؤثر بدورها في قوة جذب الكواكب التابعة لها وربطها في فلكها وتشكيل ما يعرف باسم المجموعة أو النظام الشمسيSolar System. ويستمد الإشعاع الشمسي قوته من الطاقة الهائلة المنبثقة من حدوث التفاعلات النووية في باطن **الشمس**. (راجع الفصل الثالث)، وتتولد الطاقة الشمسية باشتقاق ذرات الهليوم من ذرات الهيدروجين.

وبدون استمرارية الحركة المحورية للشمس يتوقف تكوين الطاقة الشمسية، ولا تتجدد مع الزمن، ولكانت الشمس نجمًا خامدًا منذ عدة آلاف من ملايين السنين، ولفقدت الشمس قوة جاذبيتها ولتفككت عوامل الربط بين الشمس وكواكبها التابعة لها في الفضاء السماوي. هذا الربط بين الكواكب والنجوم الذي يحفظ لكل منها موقعه ومداره في السماء. يقول المولى عز وجل :

﴿ فَلاَ أُقسِمُ بمَواقِعِ النُّجُوم * وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ الواقعة (٧٥ـ٧٦).

ويستدل الإنسان من دراسته لمواقع النجوم وآيات الله في الكون على وجود توازن معجز بينها جميعا، وأن الاختلاف في حجم هذه النجوم والكواكب وكذلك في كثافتها وتركيبها الغازي والمعدني وكتلتها وطاقاتها وسرعاتها في مداراتها والمسافات الهائلة الشاسعة البعد الفاصلة بين كل منها هو اختلاف بقدر معجز قدّره تبارك وتعالى تقديرًا حكيمًا معجزًا ليكون آية بينة للناس أجمعين إلى يوم الدين.

obeikandl.com